شهرية السياسة الدولية

الدولار يستحوذ على التركة البريتانية

سادت الميدان الدولى خلال الشهر المنقضى مظاهر الامعان فى التدخل الأميريكى ، وكأن إخفاق مؤتمر موسكو قد دفع بالولايات المتحدة إلى التوغل فى سبيل وضع اليد فى كل مكان على التركة البريتانية حتى لا يستولى عليها الذين كانت تستثمرهم أو حتى لا تستهوى روسيا فتحل محلها مبادى التوجيه الشيوعى . والشيوعية هى أخوف ما تخافه الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة ، ونظام الشيوعية أعدى أعداء الاحتكار . والطبقة الحاكمة الآن فى الولايات المتحدة إنما تستند إلى نظام من الرأسمالية هو أدنى الأنظمة إلى الاحتكار .

لقد لمس سادة أميريكا واقع انهيار انجلترا فى الميدان المالى ، وفى الميدان العسكرى ، فهرولوا إلى أن يستبدلو سيطرة الدولار بسيطرة الاسترلينى والنفوذ الأميريكى بالنفوذ البريتانى ، وقد لمسوا مناقضة النظام الشيوعى لنظامهم الرأسمالى ، فوجهوا ذلك الاستبدال فى السيطرة وفى النفوذ إلى مناهضة الاتحاد السوفيتى بالالتجاء إلى إعادة محاصرته بمثل ما كان مطوقاً به من جبهات إثر الحرب العالمية الأولى . فسعوا حتى أقرت الهيئة البرلمانية الأميريكية تخويل رئيس الولايات المتحدة حق إقراض اليونان وتركيا ملايين من الدولارات ، لاعادة تنظيمهما وتسليحهما وضمان الدفاع عنهما ، وهما واقعتان إلى الجنوب الشرقى من أراضى الاتحاد السوفيتى . وهم يسعون لاحصاء حاجات السويد والنرويج والدنمرك لتقديم الأموال إليها وهى واقعة إلى الشمال الغربى من أراضى الاتحاد السوفيتى أيضاً . وهم فى سبيل مد إيتاليا بالمعونة المالية بعد أن قدموها لفرنسا « ثمناً » أو محاولة لضمان إبعاد الشيوعيين عن الحكم فى البلدين ، وإيتاليا وفرنسا تتاخمان مع بلجيكا وهولندا بلاد النمسا ومناطق

ألمانيا الغربية التى تحتلها فرنسا وانجلترا وأميريكا كما تتاخم يوجوسلافيا ، فيتم بذلك ا لتتاخم تطويق الاتحاد السوفيتى والأمم الصقلبية جميعها من جهة الغرب بعد أن تم التطويق من ناحية الشمال الغربى والجنوب الغربى عن طريق معاونة الدول السكنديناوية معاونة اليونان وتركيا .

والأنباء الأخيرة تسجل زيارة « قائد أسطول الولايات المتحدة فى شرق المحيط الأطلنطى والبحر المتوسط» مدينة طهران واجتماعه فيها بشاه إيران ورئيس وزارته ووزير حربيته . و إيران مجاورة لتركيا ومتاخمة لروسيا من الجنوب . والجيوش الأميريكية لا تزال تحتل اليابان وتحكمها ، والولايات المتحدة قدحصلت على الوصاية على بعض الجزر فى المحيط الهادى ، وهى كذلك تحتل جانباً من كوريا وتوسع سلطانها فى الصين ، واليابان وكوريا والصين والمحيط الهادى واقعة كلها فى شرق الاتحاد السوفيتى . فلم يبق أمام إحكام التطويق الذى تسعى إليه أميريكا إلا ناحية أفغانستان والهند و إلا ناحية القطب الشمالى . وهى إلى الناحيتين جادة .

على أن الولايات المتحدة لا تريد أن تكتفى بهذا التطويق الشامل المحكم، بل تريد أن تعتبره خطا أول يجب أن تتبعه خطوط تسعى إلى أن تتعاون هى وانجلترا ودول أخرى على احتمال أعبائها من الناحية العسكرية ولا سيما من ناحية الجنوب . وقد قيل إنها تعتبر شمال البحر المتوسط أول خطوطها الاستراتيجية من جزر الدوديكانيز إلى جبل طارق ، كما تعتبر جنوب البحر ذاته ثانى هذه الخطوط من قناة السويس إلى طبرق ببرقة و إلى بنزرت فى تونس، ويتخلل الخطين جزر قبرص وكورفو ومالطة وصقلية ذاتها . ثم يأتى ثالث الخطوط فى قلب إفريقية من ساحل البحر الأحمر عند أرتريا إلى ساحل المحيط الأطلنطى عند الدار البيضاء ودكار ، مارًّا بكنيا التى يقال إنها ستكون مقر القوات البريتانية وهيئة أركان حربها فى الشرق الأوسط كله . وبين أفغانستان والبحر المتوسط والبحر الأحمر تقع رقعة الزيت الكبرى فى عبدان الايرانية والموصل العراقية وظهران السعودية والجزيرة السورية اللبنانية وسيناء المصرية الفلسطينية .

وقد صدرت فى سبيل ذلك الاتجاه الاستراتيجى الجديد أقوال من مصادر عليمة ؛ فقد أذيع « أن بريتانيا تعد العدة لالقاء المسئولية العسكرية فى

البحر المتوسط والشرق الأوسط على عاتق الولايات المتحدة والتراجع باستحكاماتها الدفاعية الخاصة بالامبراطورية إلى شرق إفريقية» ، بل قدرت بعض المصادر المطلعة العسكرية التى تتصل اتصالا وثيقاً بوزارة الحربية البريطانية موعد سحب القواعد العسكرية والتموين البريطانية إلى شرق إفريقية من سنتين إلى ثلاث سنوات .

قضية فلسطين

تلك هى الظاهرة التى سادت أفق السياسة الدولية خلال الشهر المنقضى، ظاهرة الاقتناع الأميريكى بالانهيار البريطانى ، والهرولة الأميريكية إلى وضع اليد على التراث البريطانى قبل أن يتسلمه أهله أو خوفاً من استيلاء الأنظمة الشيوعية على كيانه . ولعل قضية فلسطين التى شغلت الميدان الدولى خلال الشهر المنقضى ذاته تعتبر ناحية من نواحى تطبيق تلك الظاهرة المتجلية .

فقد عقدت الأمم المتحدة دورة استثنائية تنظر أثناءها جمعيتها العامة المطلب الذى تقدمت به بريطانيا ملتمسة تأليف لجنة دولية لفحص المشكلة الفلسطينية والتقدم بتوصياتها فى سبيل معالجتها . وكان المطلب البريطانى مستنداً إلى حرج موقف الادارة البريطانية فى الاقليم الذى كانت منتدبة عليه من قبل عصبة الأمم . وإنما يرجع هذا الحرج فى الموقف البريطانى إلى حملة الارهاب التى تشنها الهيئات المسلحة السرية من الجانب اليهودى ، وإلى حملة المطالبة باستقلال الاقليم من الجانب العربى ، ثم إلى الدعوة التى أعلنها الرئيس ترومان مطالباً بادخال مئة ألف مهاجر يهودى جديد إلى فلسطين ، وإلى التأييد الذى تلقاه فى أميريكا حركة المناداة بجعل فلسطين كلها دولة يهودية ، وبخاصة إلى إحجام الولايات المتحدة فى الوقت ذاته عن تحمل تبعات الموقف من الناحيتين المادية والعسكرية فى فلسطين .

ورفع المشكلة إلى هيئة الأمم المتحدة من جانب بريطانيا مظهر من مظاهر الضعف فى السيطرة على الأمور داخل فلسطين ، وموقف الرئيس ترومان من استمرار الهجرة وتأييد الدولة اليهودية ، فيه معنى من

معانى الاحساس بذلك الضعف البريتانى وحث الأمور على أن تتهيأ لاحلال النفوذ الأميريكى محل النفوذ البريتانى فى هذه الأصقاع .

لكن للولايات المتحدة مصالح أخرى فى أكثر من بلد عربى مجاور لفلسطين ؛ فلها مصالحها الزيتية فى آبار العربية السعودية ، ولها مصالح نقل الزيت العربى السعودى إلى الساحل اللبنانى خلال الأراضى السورية ، ولها إلى جانب هذه المصالح الواقعية القائمة مشروعات اقتصادية تعدها فى العراق وفى مصر ، وهى تعلم علم اليقين قدر ارتباط الشعور القومى فى كل هذه البلاد العربية بالشعور القومى العربى فى فلسطين . وإذن فقد آثرت ألا يكون تدخلها فى القضية الفلسطينية ، وقد راحت بها انجلترا إلى الحظيرة الدولية ، بمثل السفور الذى يتجلى فى تدخلها فى شأن اليونان وشأن تركيا . فكانت خطتها ألا تكون هى عضواً من أعضاء لجنة التحقيق حتى لا تتحمل بطريق مباشر بعبعات التوصيات التى قد لا يرضى العرب . فأيدت ألا تساهم الدول العظمى فى عضوية تلك اللجنة ، وتقدمت باقتراح حصر هذه العضوية فى دول محايدة لا هى من الدول العظمى ولا هى من الدول العربية .

وكذلك تبين خلال المواقف التى وقفتها دول أميريكا الجنوبية من المطالب والمقترحات العربية أن فعل الدعوة الأميريكية بل فعل التوجيه الأميريكى فيها كان عظيما ؛ فقد كان التضامن هو السائد إلى الآن علاقات الكتلتين اللاتينية فى جنوب أميريكا والعربية خلال مناقشات الأمم المتحدة وعند إبداء الرأى فى اجتماعاتها ، وكان بعض المتحمسين يرجعون ذلك التضامن البادى إلى أن عديدين من مئات الآلاف من أهل جمهوريات أميريكا الجنوبية ينحدرون من أصل سورى أو لبنانى ، لكن ظل التضامن قد تقلص أثناء النظر فى القضية الفلسطينية ؛ فقد كانت أصوات أميريكا الجنوبية متضامنة دائماً مع الولايات المتحدة ، سواء أكان ذلك عن طريق الادلاء بالصوت المعارض للموقف العربى مباشرة أم كان ذلك عن طريق الامتناع عن التصويت جملة .

صمت روسيا

لكن ظاهرة الشهر فى السياسة الدولية قد تجلت من الناحية الأميريكية. ويلوح أن انجلترا مضطرة لمسايرتها — وهى أشبه بالمفلس الذى يتلمس العون من دائنيه لعله يستطيع أن يستأنف عمله فى نطاق ضيق بدل أن يسقط إلى أعماق الهاوية — ويظهر أن الموقف منها غير مستقر فى البلاد التى ترمقها العين الأميريكية. فحكومة اليونان متقبلة العون الأميريكى فى لهفة، ولكن وسائل السلام الداخلى الذى تريد الولايات المتحدة أن تفرضها غير مستساغة لدى الحكومة اليونانية القائمة. والعون فى تركيا لم يقابل باللهفة اليونانية؛ لأن الأتراك فهموا ما وراءه من تدخل فى صميم الادارة التركية. وفى تركيا تحفز من ناحية أخرى على نظام الحزب الواحد أو نظام الحزب الأقوى على الأقل، وفيها اتجاهات يسارية تريد الحكومة أن تأخذها بالعنف الذى لا يساعد على الاستقرار شيئاً. وفرنسا التى انتهت أزمتها السياسية إلى إخراج الشيوعيين من مناصب الوزارة لاتزال فيها الشيوعية قوية، ولا يزال عدد الناخبين من الشيوعيين هو أكبر عدد لفئات الناخبين الموزعين على الهيئات والأحزاب السياسية جميعاً، ولا تزال الأزمة الوزارية فى إيتاليا غير مستطيعة الخروج من المأزق دون اشتراك الشيوعيين فى الوزارة الجديدة كما كانوا مشتركين فى الوزارة القديمة.

على أن فى تلك المواقف غير المستقرة شيئاً من التبين ولو على وجه العموم. لكن روسيا صامتة. وروسيا هى الطرف الثانى من طرفى الكيان الذى تريده أميريكا للعالم جميعاً. وصمتها يجعل النغمة المسموعة نغمة جانب واحد. وهى لا تكفى لتصوير الحقائق ولا تكفى لصحة الترقب.

وإذن فلنأخذ الشهر المنقضى فى ميدان السياسة الدولية على علاته. وقد سجلت فيه مظاهر أزمة عالمية دون ريب، لكن دون تحديد لمدى تطوراتها بعد.

محمود عزمى